سُورَةُ المجَادلَة

مدنية وآيها اثنتان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أي تراجعك يا محمد الكلام في شأنه، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي تتضرع إلى الله تعالى، وهي «خولة بنت ثعلبة» امرأة أوس بن الصامت؛ راودها فأبت، فغضب فظاهر منها، وكان به إلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أوساً تزوجني وأنا شابة غنية، ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وكبر سني، ونثرت بطني ـ أي كثر ولدي ـ وتفرق أهلي، ظاهر مني، ولنا أولاد صغار، إن ضممتهم إليَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا!! فقال لها ﷺ: «ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليه»؟ فقالت: يا رسول الله، ما ذكر طلاقاً وإنما هو أبو ولدي وأحبُّ الناس إليَّ، فاغتمت وشكت إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآيات الأربع، وفي كلمة «قد» إشعار بأن الرسول ﷺ والمجادِلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة، ومعنى «سمع» إجابةُ دعائها، لا مجرد علمه تعالى به

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ أي يعلم تراجعكما الكلام، والجملة جارية مجرى التعليل لما قبله، فإن إلحاحها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله تعالى، وعلمه تعالى بحالها من دواعي الإجابة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات، ومن قضيته أن يسمع تحاوركما، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة «خولة» إلى رسول الله ﷺ وكلَّمته في جانب البيت، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿قد سمع الله﴾[1] الآية. وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية، وكان ذلك أول ظهار في الإسلام، وهذه الواقعة تدل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق، ولم يبق له في مهمِّه أحد سوى الخالق، كفاه الله تعالى وفرَّج كربته.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ شروع في بيان شأن الظهار، وحكمه شرعاً، والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، أي أنت حرام عليَّ كما تحرم أمي، وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم منه، وفي «منكم» مزيد توبيخ لعادة أهل الجاهلية، فقد اشتهر هذا عند العرب ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة، فهو كذب بحت ﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ أي ما هن ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ فلا تُشَبَّه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن كالمرضعات، وأزواج النبي ﷺ، وأما الزوجات فأبعد شيء عن الأمومة ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ﴾ بقولهم ذلك ﴿مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً ١٣/ ٣٧٢ والنسائي ٦/ ١٨٦ وصححه الحاكم في المستدرك.

على أن مناط التأكيد، ليس صدور القول عنهم، فإنه أمر محقّق، بل كونه منكراً، أي عند الشرع، والعقل، والطبع، كما يشعر به تنكيره ﴿وَزُورًا﴾ كذباً وباطلاً مجانباً للحق ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي مبالغ في العفو والمغفرة، فيغفر لماسلف بالمتاب عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أي والذين يقولون ذلك القول المنكر ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أي إلى ما قالوا، بالتدارك والتلافي، لا بالتقرير والتكرار، فإن اللام و «إلى» تتعاقبان كقوله تعالى: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ وقوله: ﴿وأوحي إلى نوح﴾ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فتداركُه، أو فعليه إعتاق رقبة، أيَّ رقبةٍ كانت، وعند الشافعي يشترط فيها الإيمان والفاء للسببية، ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير، بتكرر الظهار ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أي من قبل أن يستمتع كل من المظَاهِرِ والمظَاهَرِ منها بالآخر جماعاً، ولمساً، ونظراً إلى الفرج بشهوة، وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير، يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفّر، وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى الحكم المذكور ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي تُزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور، فإن الغرامات زواجر عن تعاطي الجنايات، والمراد بذكره ليس تعريضكم للثواب، بمباشرتكم لتحرير الرقبة، بل هو لزجركم عن مباشرة مايوجبه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه ﴿خَبِيرٌ﴾ أي عالم بظواهرها وبواطنها.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ أي الرقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ ﴾ أي فعليه صيام شهرين ﴿ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ ليلاً أو نهاراً، أي من قبل الوطء والاستمتاع بها ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ ﴾ أي الصيام لسبب من الأسباب ﴿ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ، أو صاع من شعير، ويجب تقديمه على الوطء، لكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما مرَّ من البيان والتعليم للأحكام، والتنبيه عليها، أي فعلنا ذلك ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وتعملوا بشرائعه، وترفضوا ماكنتم عليه في جاهليتكم ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة ﴿ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ لا يجوز تعدِّيها ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ أي الذين لا يعملون بها ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ عبر عنه بالكفر للتغليظ، على طريقة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي يعادونهما ويشاقونهما بمخالفة أوامرهما، وورود المحادَّة في أثناء ذكر ﴿حُدودِ الله﴾ من حسن الموقع، ما لا غاية وراءه ﴿ كُبِتُوا ﴾ أي أُخذوا وقُهروا وخذلوا ﴿ كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي كما خُذل وأخزي من قبلهم، من كفار الأمم المعادين للرسل عليهم السلام ﴿ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أي والحال قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حادَّ الله ورسوله، دالة على صدق الرسل، وصحة ما جاؤوا به ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ يذهب بعزهم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ أي يحشرهم كلهم للحساب والجزاء ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ﴾ من القبائح على رؤوس الأشهاد، تخجيلاً لهم، وتشديداً لعذابهم ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ أي ضبطه الله عدّاً لم يفته منه شيء ﴿ وَنَسُوهُ ﴾ أي وقد نسوه لكثرته وتهاونهم به، وإنما تحفظ معظمات الأمور ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ لا يغيب عنه أمر من الأمور قط.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أي ألم تعلم علماً يقيناً متاخماً للمشاهدة أنه تعالى يعلم ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ من الموجودات ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ أي ما يقع من نجوى ثلاثة، أي من مسارَّتهم ﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ من حيث إنَّ الله سبحانه وتعالىٰ مطلعٌ على نجواهم ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ ﴾ أي ولا نجوى خمسة ﴿ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وتخصيص العددين بالذكر لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين، وقد عمَّ الحكم بعد ذلك فقيل ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي مما ذكر كالاثنين ﴿ وَلَآ أَكْثَرَ ﴾ كالستة وما فوقها ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ والمراد من كونه تعالى معهم، كونه تعالى عالماً بكلامهم، وضميرهم وسرهم، يعلم ما جرى بينهم ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ﴾ من الأماكن، فإن علمه تعالى بالأشياء، ليس لقربٍ مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة، قرباً وبُعداً ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ تفضيحاً لهم، وإظهاراً لما يوجب عذابهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لأن نسبة ذاته تعالى إلى الكل سواء، فأين المفرُّ إذا كان الله مع كل إنسان بعلمه، في السرِّ والجهر؟.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ، ثم عادوا لمثل فعلهم القبيح، والخطاب للرسول ﷺ، والهمزة للتعجيب من حالهم، وصيغة المضارع ﴿يعودون﴾ للدلالة على تكرار عودهم ﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾ أي بما فيه إثم في نفسه ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ للمؤمنين ﴿ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ ﷺ وذكره بعنوان الرسالة لزيادة التشنيع عليهم، واستعظام معصيتهم له ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ فيقولون: السام عليك، وهو دعاء عليه بالموت ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي فيما بينهم ﴿ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ أي هلا يعذبنا الله بذلك، لو كان محمد نبياً؟ قال تعالى: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ عذاباً ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها ﴿ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي بئست نار جهنم مسكناً ومأوى لهؤلاء الفجار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ ﴾ في أنديتكم وخلواتكم ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ ﴾ كما يفعله المنافقون واليهود ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي بما يتضمن خير المؤمنين، وبأداء الفرائض والطاعات ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ وحده لا إلى غيره، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فإنه المزين لها، والحامل عليها ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي ليحزن المؤمنين، ويسوءهم، ويوهمهم أنها في نكبة أصابتهم ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ﴾ أي وليس التناجي بضار المؤمنين ﴿شَيْـًٔا﴾ أيْ أيَّ شيء من الضرر ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بمشيئته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فلا يبالون بنجواهم، فإنه تعالى يعصمهم من شره وضرره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾ أي توسعوا في المجالس ولْيفسح بعضكم لبعض ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ والمراد مجلس الرسول ﷺ، كانوا يتضامون تنافساً في القرب منه ﷺ، وحرصاً على استماع كلامه فأُمروا بأن يوسِّعوا لإخوانهم، لأن الرجل الرفيع القدر قد يكون متأخراً عن الصف الأول، والحاجة داعية إلى تقدمه، ثم يُقاس على ذلك سائر المجالس ﴿فَٱفْسَحُوا۟﴾ أي توسَّعوا ولا تتضايقوا ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في كل ما تريدون التفسح فيه، من المكان، والرزق، والصَّدر، والقبر ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ أي انهضوا للتوسعة، أو ارتفعوا عن المجلس ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ أي فانهضوا أو لا تتثبطوا ولا تفرطوا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالنصر، وحسن الذكر في الدنيا، والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ منهم خصوصاً درجات عالية، بما جمعوا بين فضيلتي العلم والعمل، وفي الحديث الشريف: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[1] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من الخير والشر، وفيه تهديد لمن خالف أمر الرسول.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٢٦٨٢ باب فضل الفقه على العبادة، وهو حديث =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي إذا أردتم مناجاته في بعض شؤونكم المهمة، ﴿ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ أي فتصدقوا قبلها، وفي هذا الأمر تعظيم لمقام الرسول ﷺ، ونفع الفقراء، والزجر عن الإفراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق، واختلف في أنه للندب أو للوجوب، لكنه نسخ بقوله تعالى: ﴿أأشفقتم﴾ الآية، وهو وإن كان متصلاً به تلاوة، لكنه متراخٍ عنه نزولاً ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي التصدق ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أي لأنفسكم من الريبة، وحب المال، وهذا يشعر بالندب، لكنَّ قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ينبىء عن الوجوب، لأنه ترخيص لمن لم يجد، وقد كان ذلك عشر ليالٍ ثم نُسخ.

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أي أخفتم من تقديم الصدقات ﴿ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾ جمع الصدقات لجمع المخاطبين ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ ﴾ ما أُمرتم به، وشقَّ عليكم ذلك ﴿ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه، فإن قيل: ظاهر الآية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف؟ قلنا: ليس الأمر كذلك، لأن القوم كُلِّفوا به، فمن ترك المناجاة لا يكون مقصراً، أما قوله تعالى: ﴿أأشفقتم﴾ فلا يمتنع أنه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم لو دام الوجوب ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي فإذا فرَّطتم فيما أُمرتم به من تقديم الصدقات، فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة

= مشهور وطويل، أوَّلُه «من سَلَكَ طريقاً يبتغي فيه علماً، سلك الله له طريقاً إلى الجنة..» الحديث.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في سائر الأوامر، فإن القيام بها، كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ظاهراً وباطناً، وهذا وعد ووعيد.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب من حال المنافقين، الذين يتخذون اليهود أولياء وينقلون إليهم أسرار المؤمنين، أي ألم تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ أي والوا ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ هم اليهود، كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي يقولون: والله إنا لمسلمون، وقد كانوا يشتمون الرسول، ويكيدون للمسلمين، فإذا قيل لهم إنكم فعلتم ذلك، خافوا على أنفسهم، فيحلفون: والله إنا ما قلنا وما فعلنا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من فاعل يحلفون، مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا، فإن الحلف على ما يُعلم أنه كذب، في غاية القبح، كمن يحلف اليمين الغموس.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فيما مضى من الزمان، فتمرنوا على سوء العمل، وأصرُّوا عليه.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة ﴿جُنَّةً﴾ أي وقايةً وسترة، دون دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا۟﴾ أي الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالتثبيط لمن لقوا لمنعهم من الدخول في الإسلام، وتضعيف أمر المسلمين عندهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم، وهو الإذلال

والإهانة، وقيل: الأول عذاب القبر، وهذا عذاب الآخرة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[1].

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه تعالى ﴿شَيْـًٔا﴾ من الإغناء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ﴾ أي ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي دائمون لا يخرجون منها أبداً.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي يحلفون لله تعالى يومئذ أنهم مسلمون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾ في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ في الآخرة ﴿أَنَّهُمْ﴾ بتلك الأيمان الفاجرة ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ ۗ﴾ من جلب منفعة، أو دفع مضرة، كما كانوا عليه في الدنيا، حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم، ويستجرون فوائد دنيوية ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ البالغون الغاية في الكذب.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي استولى عليهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ﴾ بحيث لم يذكروه بقلوبهم، ولا بألسنتهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ أي جنوده وأتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٨.

حيث فوَّتوا على أنفسهم النعيم المقيم، وأخذوا العذاب الأليم، وعلامة استحواذ الشيطان على الإنسان أن يشغله بأشياء ظاهرة، من الملابس والمآكل، ويشغل قلبه عن ذكر الله، بتدبير الدنيا وجمعها، ولسانه عن الذكر والقراءة، بالكذب وقبيح الأقوال.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ أي يخالفون أمر الله وأمر رسوله، ويعادون دين الله بالإعراض عنه، والاستهزاء به وبأحكامه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ بما فعلوا من التولي، والموادة لأعداء الله ﴿ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ أي في جملة من هو أذل خلق الله.

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ أي قضى وحكم وأثبت في اللوح المحفوظ ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ أي بالحجة، أو بالسيف، وما يجري مجراه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ قويٌّ على نصر أنبيائه وأوليائه، عزيز: أي قاهر لا يُغلب في مراده.

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

---

(١) سورة الصافات، آية: ١٧١.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد، أي لا تصادف قوماً جامعين بين الإيمان بالله، واليوم الآخر، وبين موادة أعداء الله ورسوله، على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ أي من حادَّ الله ورسوله ﴿آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي آباء الموادين، فإن قضية الإيمان أن يُهجر الجميع بالمرة ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي أثبته، ورسَّخه فيها، فهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي من عند الله وهو نور القلب، وتأييد الرحمن. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ رضي الله عنهم جارٍ مجرى التعليل، لما أفاض عليهم من آثار رحمته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أوتوه عاجلاً وآجلاً ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ تشريف لهم ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في «أبي عبيدة بن الجراح» قتل أباه يوم أحد و «عمر بن الخطاب» قتل خاله يوم بدر، و «مصعب بن عمير» قتل أخاه يوم بدر»[1] قال سهل: من صحَّح إيمانه، وأخلص توحيده، لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه، ويظهر من نفسه العداوة، ومن داهن مبتدعاً لطلب عزِّ الدنيا، أذلَّه الله، والله أعلم بمراده، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المجادلة»

* * *

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٥٢.

سُورَةُ الحَشْرِ

مدنية آيها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ .

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي نزَّه الله كل ما في الكون من بشر، ونبات، وجماد، وهو الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ .

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ ﴾ بيان لبعض آثار عزته تعالى، والضمير راجعٌ إليه تعالى، وفيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة، روي أنه ﷺ لمَّا قدم المدينة صالح بني النضير، وهم رهط من اليهود، وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما كان يوم أحد نكثوا فخرج «كعب بن الأشرف» في أربعين راكباً إلى مكة، فحالفوا قريشاً عند

الكعبة، على قتاله ﷺ، فأمر ﷺ «محمد بن مسلمة» الأنصاري فقتل كعباً غِيلة، ثم صبَّحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة، فاستمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج، فدسَّ عبد الله بن أُبيّ وأصحابه إليهم: ألاَّ تخرجوا من الحصون، فإن قاتلوكم فنحن معكم، فحاصرهم النبي ﷺ إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين، طلبوا الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، فجلوا إلى الشام، فأنزل الله هذه السورة إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ الحشر هو إخراج الجمع من مكان إلى مكان، وهم أول من أُخرج من جزيرة العرب إلى الشام، وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَن يَخْرُجُوا﴾ من ديارهم بهذه الذلة، لشدة بأسهم، وقوة منعتهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله، لاعتقادهم أنهم في مَنَعة، لا يُبالي معها بأحد ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي أمرُ الله وقَدَرُه المقدور لهم ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ولم يخطر ببالهم، وهو قتل رئيسهم، فإنه مما أضعف قوتهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي أثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها فزعاً ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ ليسدوا بها أفواه الأزقة، ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم، وتوسيعاً لمجال القتال ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة، واتقوا مباشرة ما أدَّاهم إليه من الكفر والطغيان، وفي الآية دليل على جواز القياس.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ أي الخروج عن أوطانهم مع الأهل ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ﴾ بالقتل والسبي، كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ وهو لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بالجلاء، لا نجاة لهم من عذاب الآخرة بنار الجحيم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ما حاق بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ أي خالفوه وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها مشاقته ﷺ وليوافق قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللِّينةُ: النخلةُ الكريمة، أيْ أيَّ شيء قطعتم من نخلة كريمة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بأمر الله تعالى وإرادته ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي وليذل اليهود ويغيظهم، واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة، وقطع أشجارهم، روي أن اليهود قالوا: يا محمد قد كنتَ تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخل، وكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي ما أعاده إليه من مالهم، وفيه إشعار بأنه كان حقيقاً بأن يكون له ﷺ، وإنما وقع في أيديهم بغير حق، فأعاده الله تعالى إلى مستحقه، لأنه تعالى خلق الناس، وخلق ما خلق ليتوسلوا به

إلى طاعته، فهو جدير بأن يكون للمطيعين ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي لم تسرعوا الخيل ولم تتعبوا في تحصيله، من الوجيف وهو سرعة السير ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ هي ما يركب من الإبل خاصة، كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير، وأما راكب الفرس فإنما يسمونه فارساً، ولا واحد لها من لفظها، وإنما الواحدة منها راحلة، والمعنى: ما قطعتم لها شقة بعيدة، ولا لقيتم مشقة شديدة، ولا قتالاً شديداً، وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة، فمشوا إليها وما كان فيهم راكب إلا النبي ﷺ، فافتتحها صلحاً، من غير أن يجري بينهم مسايفة، كأنه يقول: وما أفاء الله على رسوله منهم، فما حصلتموه بكدِّ اليمين، وعرق الجبين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أي سننه تعالى جارية على أن يسلّط رسله على من يشاء من أعدائهم، تسليطاً خاصاً، وقد سلَّط النبيَّ ﷺ على هؤلاء تسليطاً غير معتاد، من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب، فلا حقَّ لكم في أموالهم، فالأمر فيه مفوَّض إليه ﷺ يضعه حيث يشاء، قيل: إن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ أن يقسم الفيء كما قسم الغنيمة، فذكر الله تعالى الفرق بين الأمرين، فقسمها بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار إلاَّ ثلاثة منهم لفقرهم، وعن بعض المفسرين أن هذه الآية ما نزلت في فيء بني النضير، لأنهم أوجفوا عليهم وحاصروهم، بل هو في «فَدَك» لأن أهل فَدَك انجلوا عنها، فصارت تلك القرى والأموال في يد رسول الله ﷺ من غير حرب، فكان ﷺ يأخذ من غلة فدك نفقته، ونفقة من يعوله، ويجعل الباقي في السلاح والخيل ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ أعاد عين العبارة الأولى، لزيادة

التقرير والبيان، أي ما جعله الله غنيمة للمسلمين بغير قتال، وهو ما يسمى بالفيء ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اختلف في قسمة الفيء، فقيل يصرف حقُّ الله إلى عمارة الكعبة المشرفة، وسائر المساجد، وقيل: يُخمَّس لأن ذكر الله للتعظيم، ويصرف سهم الرسول إلى العساكر والثغور وإلى مصالح المسلمين ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ بضم الدال، وهي ما يدول للإنسان أي يدور من المال والغنى والغلبة، أي كيلا يكون محبوساً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ أي كيلا يكون الفيءُ شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم، فلا يصيب الفقراء منه شيءٌ، كما كان الأمر في الجاهلية، حيث كانوا يقولون: من عزَّ بزَّ، أي من غلب سلب المال والدُّولة: اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ أي وما أعطاكم الرسول من الأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾ أي فتمسكوا به فإنه واجب عليكم ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي نهاكم عن فعله ﴿فَانتَهُوا﴾ أي فكفُّوا عنه، وعن تعاطيه واجتنبوه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفته ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيعاقب من يخالف أمره أو نهيه، والآية عامة في كل ما أمر رسول الله ﷺ ونهى عنه، والفيء داخل فيها.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ أي إنما كان الفيء خاصاً بهؤلاء الفقراء المهاجرين لحاجتهم واضطرارهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ حيث اضطرهم كفار مكة إلى الخروج من الوطن، فخرجوا منه ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي طالبين منه تعالى رزقاً في الدنيا، ومرضاةً في الآخرة، وصفوا أولاً بما يدل على استحقاقهم للفيء، من الإخراج من الديار والأموال، وثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده، وهو أن خروجهم لم يكن للدنيا، وإنما كان نصرة للدين وطلباً لمرضاة الله ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما فُصِّل من الصفات الحميدة ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً.

إنه تعالى وصفهم بأمور: ١ ـ أنهم فقراء ٢ ـ مهاجرون ٣ ـ أخرجو من ديارهم ٤ ـ يبتغون من فضله تعالى ٥ ـ ينصرون الله ٦ ـ أولئك هم الصادقون.

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ كلام مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة، من جملتها محبتهم للمهاجرين، ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضا، ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة ﴿ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ مباءة، وتمكنوا فيها أشد تمكن، على تنزيل الحال منزلة المكان، وقيل المعنى: تبوؤوا دار الهجرة، ودار الإيمان، سمى المدينة بالإيمان لكونها منشأه ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي من قبل هجرة المهاجرين، فإنهم أسلموا في ديارهم، وآثروا الإيمان، وابتنوا المساجد، قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ حتى شاركوهم أموالهم، وأنزلوهم منازلهم، ونزل من كانت له امرأتان عن إحداهما، حتى يتزوج بها رجل من المهاجرين ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ ﴾ أي في نفوسهم ﴿ حَاجَةً ﴾ أي شيئاً محتاجاً إليه، بمعنى الضيق والنقمة على إخوانهم المهاجرين ﴿ مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي مما أولي المهاجرون من الفيء وغيره ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي يقدِّمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي ولو كان بهم فقر وحاجة، وكان النبي ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين، ولم يعط الأنصار شيئاً إلاَّ ثلاثة نفر لفقرهم، قال لهم رسول الله ﷺ: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقالت الأنصار: بل نقسم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة، ولا

نشاركم فيها، فنزلت الآية تثني عليهم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ومن يوق بتوفيق الله تعالى بخل نفسه حتى يخالفها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى «مَنْ» باعتبار معناها العام ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بكل مطلوب والناجون عن كل مكروه، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُحَّ فإن الشُحَّ أهلك من قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»[1].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم التابعون بإحسان، وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة، ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴿يَقُولُونَ﴾ إلخ مسوق لمدحهم لمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين، ومراعاتهم لحقوق الأخوَّةِ في الدين؛ أي يدعون لهم ويقولون ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي لإخواننا في الدين، الذي هو أعزُّ وأشرف عندهم من النسب، وصفوهم بذلك اعترافاً بفضلهم ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي حقداً وحسداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على الإطلاق ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة، فحقيق بأن تجيب دعاءنا، بيَّن الله تعالى أنَّ من جاء بعد المهاجرين والأنصار، يذكرون السابقين بالدعاء والرحمة، فمن لم يكن كذلك، بل ذكرهم بسوء كان خارجاً من جملة أقسام المؤمنين، بحسب نص هذه الآية، عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «يا ابنَ أختي!! أُمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول

---

(١) الحديث أخرجه مسلم رقم ٢٥٧٨ باب تحريم الظلم.

الله ﷺ، فسبُّوهم، فأولئك شرار الخلق عند الله»[1] وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[2].

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة، وتعجيب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم، والخطاب للرسول ﷺ، أو لكل أحد ﴿ يَقُولُونَ ﴾ صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ والمراد بإخوَّتهم توافقهم في الكفر، وموالاتهم لهم في الضلال ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ﴾ من دياركم قسراً ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ جواب القسم، أي والله لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم أينما ذهبتم ﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ ﴾ أي في شأنكم ﴿ أَحَدًا ﴾ يمنعنا من الخروج معكم ﴿ أَبَدًا ﴾ وإن طال الزمان ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ أي لنعاوننكم على عدوكم ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة، وفيه إخبار بالغيب.

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في التفسير رقم ٣٠٢٢ وفي رواية للترمذي «إذا رأيتم الذين يسبُّون أصحابي، فقولوا: لعنةُ الله على شركم».

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٧/ ٢٨ ومسلم رقم ٢٥٤١ في فضائل الصحابة.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل، بعد تكذيبهم على الإجمال ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وكان الأمر كذلك فإن ابن سلول وأصحابه أرسلوا إلى «بني النضير» ذلك سراً، ثم أخلفوهم، وفيه حجة بينة لصحة النبوة، وإعجاز القرآن ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفرض والتقدير ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي المنافقون بعد ذلك، أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم، ثم قال تعالى للمؤمنين:

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي أشد خشية وخوفاً ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ﴾ أي رهبتهم في السر أشد ممَّا يظهرونه لكم من رهبة الله، فإنهم كانوا يدَّعون عندكم رهبة عظيمة من الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى وجلاله، فيخشوه حق خشيته.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ أي اليهود والمنافقون، لا يقدرون على قتالكم مجتمعين، في موطن من المواطن ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالدروب والخنادق لفرط جبنهم وهلعهم ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ﴾ أي من وراء الأسوار والحيطان، دون أن يظهروا أمامكم ويبارزوكم، لفرط رهبتهم ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ﴾ أي ما ذكر من رهبتهم منكم، ليس لضعفهم وجبنهم في

أنفسهم، فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد، وإنما جبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين ومتفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة، لا ألفة بينهم، لافتراق عقائدهم، واختلاف مقاصدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من تشتت قلوبهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ شيئاً حتى يعرفوا الحق، ويتبعوه، وتطمئن به قلوبهم، وتتحد كلمتهم، وهذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي مثل اليهود كمثل كفار مكة الذين خرجوا لقتال رسول الله ﷺ في بدر ﴿قَرِيبًا﴾ أي في زمان قريب ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فحال اليهود هكذا، وأما حال المنافقين، فهو ما نطق به قوله تعالى.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي مثل المنافقين الذين غرُّوا الكفَّارَ كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ إغراءً على الكفر ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ فهذا التبري يكون يوم القيامة، كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أخاف عذاب الله وانتقامه، إن كفرتُ به، وهو كاذب في هذا القول، لأنه لو خاف الله لما عصاه.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي عاقبة الكافر والشيطان ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ

فِيهَآ﴾ أي دائمين في النار المؤبدة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي الخلود في النار ﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي عقوبة كل ظالم فاجر، منتهك لمحارم الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في كل ما تأتون وما تذرون ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾ أيْ أيَّ شيء قدمت من الأعمال، ليوم القيامة، عبر عنه بالغد لدنوّه وقرب مجيئه، أو لأن الدنيا كيوم، والآخرةُ غدُه، وتنكيره للتفخيم والتهويل ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ تكرار للتأكيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي، وفيه تحريض على المراقبة.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي نسوا حقوقه وما قدروه حق قدره، ولم يراعوا أمره ونواهيه ﴿فَأَنسَىٰهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ أي جعلهم ناسين لها، فعاشوا كالبهائم والأنعام، حتى لم يسمعوا ما ينفعها، ولم يفعلوا ما يخلّصها من عذاب الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي الكاملون في الفسوق والعصيان.

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في نار السعير ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾ أي لا يتساوى هؤلاء وهؤلاء ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ

﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أي هم السعداء، الفائزون بكل مطلوب، فالجملة مبيِّنة لكيفية عدم الاستواء.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أيَّ جبلٍ من الجبال، مع كونه عَلَماً في القسوة، وعدم التأثر مما يصادمه، أي لرأيته متشققاً من خشية الله تعالى، وهذا تمثيلٌ وتخييل، لعلو شأن القرآن الكريم، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تخشعه عند تلاوته، وقلة تدبره فيه.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ أي ما غاب عن الحسِّ وما حضر له، وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق سواه، كرره لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ البليغ في النزاهة، النزاهة في الذات، والصفات والأفعال، والأحكام، والأسماء ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة

من كل نقص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أي واهب الأمن ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ أي الرقيب الحافظ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي الغالب ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما أراد ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الزوجة والولد، والشريك والنظير.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ﴾ المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الموجد لصورها وكيفيتها كما أراد ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لدلالتها على المعاني الحسنة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي ينزّهه تبارك وتعالى جميع ما في الكون، ناطقُه وجامدُه، بلسان الحال أو المقال، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه. عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وَكَلَ اللهُ به سبعين ألف ملك، يصلُّون عليه حتى يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان كذلك»[1] والله أعلم بالصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الحشر»

* * *

(١) أخرجه الترمذي في ثواب القرآن رقم ٢٩٢٣ وقال: هذا حديث غريب، ورواه الدارمي ٢/ ٤٥٨ وانظر جامع الأصول ٨/ ٤٨٢.

obeikandl.com

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

مدنية وآيها ثلاث عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فيه دليل على أن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان عن صاحبها ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ نزلت في «حاطب بن أبي بلتعة» وذلك أنه لمَّا جهز رسول الله ﷺ لغزوة الفتح، كتب حاطب إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم، وأرسله مع سارة مولاة بني المطلب، فنزل جبريل عليه السلام بالخبر على رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب قال: بعثني ﷺ أنا والزبير، والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة[1] معها كتاب فخذوه منها، قال: فانطلقنا تتعادىٰ بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة فإذا نحن

(١) ظعينة أي امرأة مسافرة.

بالظعينة، فقلنا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب!! فقلنا: لتُخرجِنَّ الكتاب أو لتلقينَّ الثياب، فأخرجته من عِقاصها ـ ضفائر شعرها ـ فأتينا به النبيَّ ﷺ، فإذا فيه «من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجلْ عليَّ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين، لهم قرابات، يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتَّخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلته كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام!! فقال ﷺ: إنه قد صَدَقكم، فقال عمر: دعْني يا رسول الله أضربْ عنقَ هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟! ففاضت عينُ عمر رضي الله عنه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1] الآية ﴿تُلْقُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿لا تَتَّخِذُوا﴾ والتقديرُ: لا تتخذوهم أولياء ملقين ﴿إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي تطلعونهم وتلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، بسبب المودة التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي وقد كفروا بدينكم وقرآنكم ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ تعليل للنهي عن الموالاة، أي يخرجون رسول الله من وطنه، ويخرجونكم من مكة لإيمانكم ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ أي لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ كلام وارد على نهج العتاب والتوبيخ، أي تفشون إليهم الأخبار بسبب المودة ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي والحال أني أعلم منكم بما أخفيتم، ولم يقل «بما أسررتم» لأن الإخفاء أبلغ من الإسرار، دل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أيْ أخفى من السرّ ﴿وَمَا أَعلَنتُم﴾ أي وما أظهرتموه، فأنا عالم بسريرتكم

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣/ ٢٠٠، والترمذي رقم ٣٣٠٥.

وعلانيتكم، ومطلعٌ رسولي على ما تسرون، فأيُّ طائلٍ لكم في الإسرار؟! ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي إلقاء المودة إليهم، فقد أخطأ طريق الصواب.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ أي يظهرون لكم ما في نفوسهم من خالص العداوة، ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالقتل، والشتم، والأسر ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي تمنّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، فإن موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم، وصيغة الماضي لتحقق ودادتهم الكفر قبل ذلك.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ﴾ الذين توالون الكفار من أجلهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بجلب نفع، أو دفع ضر ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ وبين أقاربكم وأولادكم، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ من أَخِيهِ﴾ الآية، فما لكم ترفضون حق الله، مراعاةً لحق من يفر منكم غداً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة في التبرؤ من الأهل أي خصلة حميدة، حقيقة بأن يُؤتسىٰ ويُقتدى بها ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي من أصحابه المؤمنين به ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ المشركين ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي من الأصنام ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي بدينكم وبمعبودكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ﴾ بالأفعال ﴿وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ بالقلوب ﴿أَبَدًا﴾ هذا دأبنا لا نتركه ما دمتم على الكفر ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، فتنقلب العداوة حينئذ ولاية، والبغضاء محبة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء من قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فإن استغفاره لأبيه الكافر، وإن كان جائزاً عقلاً وشرعاً، لوقوعه قبل أن يتبيَّن له أنه من أصحاب الجحيم، كما نطق به النص: ﴿فلما تبيَّن له أنه عَدُوٌّ لله تبرَّأ منه﴾ فهذا ممَّا لا ينبغي أن يُؤتى به أصلاً ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ من تمام المستثنى أي أستغفر لك، وليس في طاقتي إلا الاستغفار ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ من تمام ما نقل عن إبراهيم عليه السلام، أي وقولوا في دعائكم كما قال إبراهيم: ربنا عليك اعتمدنا في جميع أمورنا ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي أقبلنا ورجعنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي المرجع في جميع أمورنا.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي لا تسلطهم علينا فيفتنوننا بعذاب لا نحتمله ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط منا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يذل من التجأ إليه، ولا يخيب رجاء من توكَّل عليه، وتكرار النداء للمبالغة في التضرع.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة حسنة في معاداة الكفار، في إبراهيم ومن معه من المؤمنين، كرره للمبالغة في الحث على التأسي به عليه السلام، ولذلك صدر بالقسم ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي لمن كان صادق الإيمان، يرجو ثواب الله، ويخاف عقابه، وفائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا يترك الاقتداء بهم، وأنَّ تركه من مخايل عدم الإيمان بهما، كما ينبىء قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة، ولمَّا نزلت هذه الآية، وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين، أطمعهم تعالى في تحول الحال إلى خلافه، فقال سبحانه:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أي من أهل مكة من أقربائكم ﴿مَّوَدَّةً ۚ﴾ بأن يوفقهم الله للإيمان، فلما يسَّر الله فتح مكة، أسلم قومهم، وتم بينهم التحابُّ، تحقيقاً لوعد الله الكريم، و «عسى» وعدٌ من الله تعالى على عادات الملوك ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ﴾ على تحويل الحال، وتقليب القلوب، وتسهيل أسباب المودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر لكم ما فرط منكم، في موالاتهم من قبل.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي

تكرموهم، وتحسنوا إليهم، قولاً وفعلاً ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ ولا تظلموهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين، وإذا نهى الله تعالى عن الظلم في المشرك، فكيف في المسلم؟.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي إنما يحذركم الله من موالاة من حاربكم، وقاتلكم، وآذاكم بسبب الدين، وأخرجكم من وطنكم ﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾ أي وأعانوا أعداءكم الكفار عليكم أن تتخذوهم أولياء وأنصاراً وأحباباً ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من بين أظهر الكفار ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾ فاختبروهنَّ، بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الإيمان، سمَّاهن مؤمنات لنطقهنَّ بكلمة الشهادة، يروى أن رسول الله ﷺ كان يقول للتي يمتحنها: «قولي بالله الذي لا إله إلا هو، ما خرجتُ من بغض زوج، وما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجتُ إلا حبّاً لله ورسوله» نزلت الآية بعد صلح الحديبية، وكان الصلح قد وقع على أن يردَّ على أهل مكة من جاء مؤمناً منهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، بياناً أن

ذلك في الرجال لا في النساء، لأن المسلمة لا تحل للكافر ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ منكم لأنه المطلع على ما في قلوبهن ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ بعد الامتحان ﴿مُؤْمِنَٰتٍ﴾ علماً يمكنكم تحصيله، وتبلغه طاقتكم، بعد الاستدلال بالعلائم والدلائل، وهو الظن الغالب، وتسميته علماً للإيذان بأنه جار مجرى العلم، في وجوب العمل به، وما يفضي إليه الاجتهاد كذلك جارٍ مجرى العلم ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى أزواجهن الكفرة، لقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي لا حلَّ بين المؤمنة والمشرك، لوقوع المفرقة بينهما، بخروجها مسلمة ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ التكرير لتأكيد الحرمة، أو لأن الأول لبيان زوال النكاح، والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك لأن الصلح جرى على أنَّ من جاءنا منكم رددناه، فلما تعذَّر ردُّهن عليهم لورود النهي عنه، لزم ردُّ مهورهن، روي أنه ﷺ بعد صلح الحديبية جاءته «سُبيعة بنت الحارث» مسلمة، فأقبل زوجها المخزومي طالباً لها، فنزلت الآية، فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر رضي الله عنه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفرة ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهنَّ، لأن المهر أجر البضع، وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله على أن لا عدة على المهاجرة ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ جمع عصمة، أي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة، ولا علاقة زوجية، والكوافر جمع كافرة، وهي التي بقيت في دار الحرب، أو لحقت بها، نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، قال الزهري: لمَّا نزلت هذه الآية، طلَّق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذُكر ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي شرعه العادل بينكم وبين أعدائكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة.

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون، أي وإن انفلت ﴿ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ أي أحد من أزواجكم إلى الكفار فلحقن بهم مرتدَّات، وإيقاع ﴿شيء﴾ موقعه للتحقير، ﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ أي فجاءت عُقْبتكم أي نوبتكم، من أداء المهر، والعُقْبةُ بالضم: النَّوبةُ، جمعه عُقَب، مثل غُرفة وغُرَف، شبَّه ما حكم به على المسلمين والكافرين، من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأداء هؤلاء أخرى، بأمرٍ يتعاقبون فيه، كما يتعاقب الناس في الركوب ﴿ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ من مهر المهاجرة التي تزوجتموها، ولا تؤتوا زوجها الكافر، وقيل معناه: إن فاتكم شيءٌ فأصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة، فأتوا بدل الفائت من الغنيمة، روي أنه لما نزلت الآية السالفة أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين، وأبى المشركون أن يؤدُّوا شيئاً من مهور الكوافر، إلى أزواجهن المسلمين، فنزلت هذه الآية ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ فإن الإيمان به تعالى، يقتضي التقوى منه والخوف والحذر، قال ابن عباس: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ستُّ نسوةٍ، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهن من الغنيمة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ أي قاصدات للمبايعة، نزلت يوم الفتح، فإنه ﷺ لمَّا فرغ من بيعة الرجال، شرع في بيعة النساء، وهو على

الصفا فجاءته النساء فقال ﷺ: أبايعهن ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ من الإشراك ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ أي لا يفعلن جريمة السرقة والزنى ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ أريد به وأدُ البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هو ولدي منك، كنَّىٰ عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها، لأنَّ بطنها الذي تحمله بين يديها، ومخرجه بين رجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي فيما تأمرهن بمعروف، والتقييدُ بالمعروف، للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق، وقال ابن المسيب: ممَّا تأمرهنَّ به، وتنهاهن عنه، كالنوح، وتمزيق الثياب، وجزّ الشعر، ولا تحدث الرجال إلا إذا كان ذا رحم محرم، ولا تخلو برجل غير محرم، وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر، لكثرة وقوعها فيما بين النساء ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ أي على ما ذُكر وعلى سائر أركان الدين ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ زيادة على ما في ضمن المبايعة، فإنها عبارة عن طلب الثواب، بمقابلة الوفاء بالأمور المذكورة من قبلهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي مبالغ في المغفرة والرحمة، فيغفر لهن ويرحمهن، إذا وفين بما بايعن عليه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية، وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط»[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم عامة الكفرة،

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٦٣٦ وفيه قول عائشة رضي الله عنها:
«ما يبايعهنَّ إلاَّ بقوله: قد بايعتُكِ على ذلك، ولا واللهِ ما مست يدُه يد امرأة قطُّ في المبايعة».

وقيل: اليهود، لما روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين، كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ من ثوابها، لكفرهم بها أو لعلمهم بأنهم لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي كما يئس منها الذين ماتوا منهم، لأنهم وقفوا على حقيقة الحال، وشاهدوا حرمانهم من نعيمها وقيل: المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا أو يرجعوا إلى الدنيا أحياء. والله أعلم بالصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الممتحنة»

* * *

obeikandl.com

سُورَةُ الصَّفِّ

٦١ ــ ١٤

مدنية وآيها أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي مجَّد اللهَ ونزَّهَهُ كل ما في الكون من مَلَك، وإنسان، ونبات، وجماد، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ روي أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه، فلمَّا نزلت آية الجهاد، تباطأ بعضهم، فنزلت هذه الآية[١] ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أيْ لأيِّ شيءٍ تقولون نفعل، ما لا تفعلون من الخير والمعروف؟ والتوبيخ في الحقيقة

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٣٠٩ قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ، ورواه أحمد في المسند، وانظر تفصيل الروايات في تفسير ابن كثير ٤/ ٣٨١.

على عدم فعلهم، وإنما وجهها إلى قولهم، تنبيهاً على تضاعف معصيتهم، ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط، بل الوعد به أيضاً، ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون، لفُهم منه أن المنكر هو ترك الموعود.

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ اختير لفظ المقت، لأنه أشد البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب، أي عَظُم فعلكم هذا بغضاً عنده سبحانه، أن تتحدثوا بما لا تعملون.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ أي يصفُّون أنفسهم للقتال صفاً، وهذا صريح في أن ما قالوه، عبارة عن الوعد بالقتال، لا عما يقوله الممتدح أو غيره ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ أي لاصقٌ بعضهم ببعض كقطعة واحدة (١).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ كلام مقرِّرٌ لما قبله، من شناعة ترك القتال، أي اذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال، وقت قول موسى لبني

---

(١) شبَّههم تعالى في ثباتهم وصمودهم أمام الأعداء، بالبناء المحكم الرصين، الذي رُصِفت حجارته، فرُصَّ بعضها إلى بعض، حتى صار متماسكاً، كالسدِّ المنيع، الذي لا يتفكّك ولا يتزعزع، ولا تؤثر فيه الأعاصير، وهو تشبيه رائع بديع ولهذا قال: ﴿كأنهم بُنيانٌ مرصوص﴾!!.

إسرائيل، حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ التي كَتَبَ اللهُ لَكُم﴾ فلم يمتثلوا أمره، وعصوه حيث قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ﴾ فآذوه كلَّ الأذية ﴿يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به؟! هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم، ويرتضيه الذوق السليم، وأما ما قيل إنهم كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من طلبهم رؤية الله، وغير ذلك، فممَّا لا تعلُّق له بالمقام ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتكم به من المعجزات الواضحة، أي والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمداً بمشاهدة ما ظهر على يدي من المعجزات، أني رسول الله إليكم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ أي أصرُّوا على الزيغ عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي صرفها عن قبول الحقِّ، لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال، وفيه تنبيه على عظم إيذاء الرسول فإنه يؤدي إلى الكفر، وزيغ القلوب عن الهدى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ هداية موصلة إلى معرفة الحق ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة، ومنهاج الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي أرسلت إليكم حال كوني مصدّقاً لرسالة موسى، ولما جاء في التوراة ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ أي ومبشراً بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه أحمد، ويسمى أيضاً محمد[1]، وجاء في الإنجيل تسميته بالفَارْقَليط

(١) ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» أخرجه الشيخان، ومعنى العاقب الذي لا نبي بعده.

ومعناه الرسول الهادي، ففي إنجيل «يوحنَّا»: «هكذا وأنا أطلب لكم إلى أبي، حتى يمنحكم ويعطيكم «الفارقليط» وهو روح الحق اليقين» هذا لفظ الإنجيل المنقول إلى العربية، وفي مكان آخر: «أمَّا الفارْقَليط روح القدس، يرسله أبي باسمي، ويعلّمكم، ويمنحكم جميع الأشياء» ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مشيرين إليه ﷺ وتسميتهم سحراً للمبالغة، ويؤيده قراءة ﴿هذا ساحر﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ﴾؟ أيْ أيُّ الناس أشدُّ ظلماً ممن يدعى إلى الإسلام، فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله، بقوله: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾؟ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم لظلمهم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي يريدون أن يطفئوا دينه، ويبطلوا شريعة الإسلام ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بطعنهم فيه، شبهت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ أي مبلغه إلى غايته بنشره في الآفاق وإعلائه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك، فالإسلام منتصر رغم أنوف الكافرين.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي الملة الحنيفية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع الأديان

له، ولعمري لقد فعل ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك، فقد حقَّق الله وعده، فانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلا فوق جميع الأديان، ولله الحمد والمنَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ عرضٌ في معنى الأمر، كأنه يقول: آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله بالأموال والأنفس ﴿عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ هي التجارة بين أهل الإيمان، وبين الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ ﴿تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ نزلت هذه الآية، حين قالوا: لو نعلم أيُّ الأعمال أحب إلى الله لعملناه؟.

ثم بيَّن تعالى تلك التجارة. فقال:

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ والمراد به الأمر، جيء بلفظ الخبر، إيذاناً بأن ذلك لا يُترك ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم لما تأخرتم عن البذل والجهاد.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر، المدلول عليه بلفظ الخبر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾ أي قصوراً عالية مريحة في

جنات إقامة ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما ذكر من المغفرة، وإدخال الجنة ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز وراءه.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي تجارة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَا ۖ﴾ وفي تحبونها تعريضٌ بأنهم يؤثرون العاجلَ على الآجل ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو ربح التجارة ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ هو فتح مكة، وفتح فارس والروم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يا رسول الله بشرهم، بما وعدتهم على ذلك عاجلاً وآجلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۚ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي أنصار دينه، أمر بإدامة النصرة، والثبات عليه، أي ودوموا على ما أنتم عليه من النصرة ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ أي من جندي متوجهاً إلى نصرة دين الله والتشبيه باعتبار المعنى، أي انصروا دين الله، كما نصر الحواريون دين الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي نحن أنصار دينه ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى عليه السلام ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ﴾ به عليه السلام ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ بالحجة القاطعة، أو بالحرب، وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ فصاروا غالبين، والله ولي المؤمنين، والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الصف»

* * *

مدنية آيُها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ أي هو جلَّ وعلا برحمته وحكمته، بعث في العرب رسولاً من جملتهم، أمياً مثلهم، لا يقرأ ولا يكتب، وسموا أميّين لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون، والحكمة في اقتصاره على ذكر الأميين، مع أنه رسول إلى كافة الخلق، تشريف العرب بأن خاتم النبيّين ﷺ بُعث منهم، وليس من بني إسرائيل ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ أي يقرأ عليهم آيات القرآن المبين، من حفظه لا من الكتاب

المنزل ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهّرهم من الشرك، وخبائث الجاهلية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي يعلمهم القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، الركنان الأصليان للشريعة الإسلامية الغراء، ولو لم يكن سوى القرآن العظيم معجزة معه لكفاه ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي وقد كانوا قبل بعثة النبي في ضلال واضح، وكفر وجهالة، وهو بيان لشدة الحاجة إلى نبيّ يرشدهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ﴾ أي وبعث خاتم النبيّين إلى قوم آخرين، لم يكونوا في زمانهم، وسيجيئون بعدهم، وهم جميع من أسلم إلى يوم القيامة، والمعنى: لم يلحقوا بهم وسيلحقون بهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي هو سبحانه القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه، حيث اختاره من بين كافة البشر.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ أي ذلك الشرف والفضل، الذي خصَّ الله به العرب، من نزول القرآن بلغتهم، وإرسال خاتم الرسل إليهم، هو فضل الله يعطيه لمن يشاء من خلقه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي هو جلَّ وعلا ذو الفضل الواسع، على جميع خلقه في الدنيا والآخرة.

ثم شرع تعالى في ذمّ اليهود، الذين أكرمهم الله بالتوراة، فلم ينتفعوا بها ولم يطبّقوها، وشبههم بالحمار الذي يحمل الأسفار، فقال سبحانه:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي مثل اليهود الذين أُعطوا التوراة، وكُلِّفوا بالعمل بها، ثم لم يطبّقوها ولم يعملوا بما فيها ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ أي مثلهم كمثل الحمار، الذي يحمل الكتب الضخمة النافعة، ولا يناله منها إلاَّ التعب والعناء، شبّههم تعالى والتوراة في أيديهم، وهم لا يعملون بها، بالحمار يحمل الكتب، وليس له إلاَّ ثقل الحمل من غير فائدة، فهو يتعب في حملها ولا ينتفع بما فيها ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي بئس هذا المثل، الذي ضُرب لليهود، مثلاً للقوم الذين كذبوا بآيات الله، الدالة على نبوته ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لا يوفّق للخير، ولا يرشد للإيمان، من كان فاسقاً ظالماً، عاصياً لأمر الله، يضع التكذيب في موضع التصديق.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء اليهود، الزاعمين أنهم أولياء الله وأحبابه، إن كنتم حقاً أحبابه كما تدَّعون ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ ﴾ أي فتمنوا من الله أن يميتكم، لِتُنْقَلوا من دار البلاء إلى دار الكرامة، والآية ردٌّ على قولهم: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ وتكذيب لهم في هذه الدعوى ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي إن كنتم صادقين في محبتكم وولايتكم لله، فإن من أيقن أنه من أهل الجنة، أحبَّ لقاء الله، لينال الفوز والسعادة، بجوار ملِك الملوك، ربِّ العزَّة والجلال.

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ ﴾ أي ولا يتمنون الموت بحالٍ من الأحوال، بسبب ما أسلفوه من الكفر والمعاصي، وتكذيب الرسول عليه السلام، وهذه من معجزات القرآن، حيث أخبر عنهم خبراً جازماً قاطعاً

بعدم تمني الموت، وقد وقع ما أخبر عنه، وفي الحديث الشريف: «لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات». ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي عالم بهم، وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ أي قل لهم يا محمد، إن هذا الموت الذي تهربون منه، ولا تجسرون أن تتمنوه، فإنه آتيكم لا محالة، ولا ينفعكم الفرار منه، لأنه قدر محتوم، ولا يغني حذر عن قدر ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ثم ترجعون إلى رب العزة والجلال، الذي لا تخفى عليه خافية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي فيجازيكم على أعمالكم القبيحة.

ثم شرع تعالى في بيان أحكام فريضة الجمعة فقال تقدست أسماؤه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ أي إذا سمعتم الأذان ينادىٰ به لصلاة الجمعة ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي فامضوا وامشوا إلى الخطبة والصلاة، واتركوا البيع والشراء، وسائر الأعمال الدنيوية، لتنالوا رضوان الله ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي ذلك السعي للصلاة، وترك البيع والشراء، والتجارة والعطاء، خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا، فإن نفع الآخرة خير وأبقى، قال الحسن البصري: والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكنه سعيٌ بالقلوب، والعزائم، والخشوع.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي أديتم الصلاة وفرغتم منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أمر إباحة لإقامة مصالحكم ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي اطلبوا الرزق أو زيارة أخ في الله، وعن بعض السلف أنه كان يقول: «اللهم أجبتُ دعوتك، وصلَّيتُ فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني وأنت خير الرازقين» ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي اشكروه على ما وفقكم لأداء فريضته، واذكروه في مجامع أحوالكم، ذكراً كثيراً وزماناً كثيراً ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ كي تفوزوا بخير الدارين، وتسعدوا بنيل رضوان الله.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ أي تفرَّقوا عنك إليها وتقديره: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «بينما نحن نصلي مع الرسول ﷺ، إذْ أقبلت عير ـ أي جمال ـ تحمل طعاماً، فانفلتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية»[1].

وقال الحسن: أصاب أهلَ المدينة جوعٌ وغلاءُ سِعْرٍ، فقدم دحيةُ الكلبي قبل أن يُسلم، وكان معه أنواع التجارة من الشام، والنبي ﷺ يخطب، فلمّا رأوه قاموا إليه، وكانوا إذا أقبلت العير، استقبلوها بالطبل، والتصفيق، وهو المراد باللهو هنا ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي على المنبر[2] ﴿قُلْ مَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٨/ ٦٤٢ باب «وإذا رأوا تجارة».

(٢) هذا إنما حدث منهم، لأن الصلاة كانت قبل الخطبة، كما نبَّه عليه الحافظ ابن كثير =

عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ فإن ذلك نفع محقّق مخلَّد، بخلاف ما فيهما من النفع المتوهَّم ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ اطلبوا منه تعالى الرزق، فهو الرزَّاق ذو القوة المتين، والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الجمعة»

* * *

= رحمه الله، وإلاَّ فمحالٌ على أصحاب رسول الله، أن يتركوا الصلاة، ويخرجوا من أجل التجارة، ثم أصبحت الخطبة قبل الصلاة، كما هو عليه الحال الآن، بأمر الله جلَّ وعلا.

obeikandl.com

سُورَةُ المنافقون

مدنية آياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أي حضروا مجلسك، وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ﴾ أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبُهم ألسنتهم ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ مؤكدين كلامهم بإن واللام، للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم القلب ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم، أي والله يعلم أن الأمر كذلك أنك رسول الله ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ادعاء الصدق، لأنهم لم يعتقدوا ذلك، وأضمروا خلاف ما أظهروا، وهذا يدل على أن حقيقة الإيمان بالقلب، وكل من أخبر عن شيء واعتقد خلافه فهو كاذب، والإظهار في موضع الإضمار، لذمِّهم، وبيان كذبهم.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ أي وقاية من السبي، والقتل، واتخاذها جُنَّة عبارة عن تهيئتهم لها إلى وقت الحاجة، ليحلفوا بها، ويتخلصوا عن المؤاخذة ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي منعوا الناس عن الإسلام، بالتنفير، وإلقاء الشُّبَه، ومنع الناس عن الجهاد ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من نفاقهم، وصدِّهم، وفي «ساء» معنى التعجب، الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصف من حالهم في النفاق، والكذب، والصد عن سبيل الله ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ أي نطقوا بكلمة الشهادة، فآمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم، ثم ظهر كفرهم، بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فختم عليها حتى لا يدخلها الإيمان ولا يتدبرون ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ حقيقة الإيمان، لأنهم تمرنوا على الكفر والضلال.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يسمع، أي إذا نظرت إليهم أعجبتك أجسامهم، لضخامتها ومناظرها فقد كان عبد الله بن أُبيّ ابن سلول رجلاً جسيماً، صبيحاً، فصيحاً، وطائفةٌ من المنافقين في مثل صفاته، فكانوا يحضرون مجلس النبي ﷺ، ويعجب الناس بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ لفصاحتهم، وحلاوة كلامهم ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ شُبِّهوا في جلوسهم، بخُشُب

منصوبة، مستندة إلى الحائط، في كونهم أشباحاً خالية من العلم والخير، والخُشُب لا تعقل ولا تفهم، فكذلك أهل النفاق في حسن صورهم، وقلة جدواهم ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي واقعة عليهم، وضارة لهم، لفزعهم ورعبهم، فقد كانوا على وَجَل من أن يُنزل الله فيهم ما يهتك أسرارهم، ويبيح دماءهم وأموالهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي هم الكاملون في العداوة، لأن أعدى الأعداء العدوُّ المداجي، الذي يكاشرك، وتحت ضلوعه الداء الدفين ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تغترْ بظاهرهم، فإنهم وإن كانوا معك، عيون لأعدائك ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي أهلكهم الله ولعنهم، كيف يعدلون عن الحق، إلى الضلال والباطل؟.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي تعالوا إلى رسول الله ﷺ، فاعتذروا لديه ليطلب لكم المغفرة من الله، وذلك حين نزل القرآن بصفة المنافقين، مشى إليهم عشائرهم من المؤمنين، فقالوا لهم: ويلكم افتضحتم بالنفاق، فأتوا رسول الله واسألوه أن يستغفر لكم، فأبوا ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي أداروها وعطفوها استكباراً عن ذلك ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن الناصح، وعن طلب الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار، لغاية ضلالهم ونفاقهم.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦﴾.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ يستوي لديهم إذا جاؤوا معتذرين من جناياتهم ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إذا أصروا أو لم يأتوا وأصرُّوا على قبائحهم، واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ما داموا

على النفاق، وإصرارهم على الفسق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة، لانهماكهم في الكفر والفسق، والمراد إما هم بأعيانهم، وإما الجنس وهم داخلون فيه.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ يعنون الفقراء المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ أي يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي وله سبحانه الأرزاق، وبيده تعالى مفاتيح الرزق، فلا يعطي أحد أحداً شيئاً إلا بإذنه، ولا يمنعه إلا بمشيئته، وفيه ردٌّ وإبطال لما زعموا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك لجهلهم فيهذون بما يزين لهم الشيطان، رُوي أن «جَهْجَاه» أجير عمر رضي الله عنه و «سنان» أجير عبد الله بن أُبيّ، اقتتلا من أجل الماء، فلطم جهجاه سناناً، فغضب له ابن سلول فقال عبد الله: أفعلوها؟ واللهِ ما مَثَلُنا ومثلُهم إلا كما قال القائل: «سمِّنْ كلبَك يأكُلْك» أَمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضر من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، والله لو أمسكتم عنهم فضل طعامكم، لم يركبوا رقابكم، فلا تنفقوا عليهم، حتى ينفضوا عن محمد، ويعتزلوا عن متابعته، فنزلت الآية الكريمة[1].

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿لَيُخْرِجَنَّ

(١) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب التفسير رقم ٣٣١٥.

﴿ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ عنى بالأعز نفسه، وبالأذل جانب المؤمنين، وإسناد القول المذكور إلى المنافقين، لرضاهم به، فرد عليهم بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ولله الغلبة والقوة، ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين، لا لغيرهم، كما أن المذلة والهوان، للشيطان وذويه، من الكافرين والمنافقين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من فرط جهلهم وغرورهم، ولو علموا ما قالوا هذا الهذيان، قال أصحاب السير: فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى مات على نفاقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي لا تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ أي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها، والاعتناء بمصالحها، والتمتع بها ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ عن الصلاة، أو عن القرآن وسائر العبادات المذكرة بالمعبود، والمراد نهيهم عن التلهي بها، وتوجيه النهي إليها للمبالغة ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي التلهي بها، والتغافل عنها ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي الكاملون في الخسران، حيث باعوا الباقي بالفاني.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ أي بعض أموالكم، ادخاراً للآخرة، والمراد الإنفاق الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاين ما ييئس، ويتعذر الإنفاق ﴿فَيَقُولَ﴾ عند تيقنه بحلوله ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ أي هلاَّ أمهلتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي إلى زمان قليل

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ أي فأتصدق، وهو جواب «لولا» أي فأزكي مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من المؤمنين المحسنين.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ أي لن يمهلها عن الموت ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ﴾ آخر عمرها ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمجازٍ عليها، والله أعلم.

والصلاة على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المنافقون»

* * *

obeikandl.com

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مكية وآيها ثمان عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ ﴾ لا لغيره، إذ هو المبدىء لكل شيء، وهو القائم به، والمهيمن عليه، وهو المولي لأصول النعم وفروعها، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ خلقاً بديعاً، حاوياً لجميع مبادىء الكمالات العلمية والعملية، ومع ذلك ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ ﴾ أي فبعضكم مختار للكفر، كاسب له، على خلاف ما تستدعيه خلقته ﴿ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ مختار للإيمان كاسب له، حسبما تقتضيه خلقته، وكان الواجب عليكم جميعاً، أن تكونوا مختارين للإيمان، شاكرين لنعمة الخلق، وتقديم الكفر لأنه الأغلب ﴿ وَٱللَّهُ

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي عالم وبصير بكفركم، وإيمانكم، فيجازيكم بذلك، وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي جعلكم أحسن المخلوقات وأبهاها، حيث زيَّنكم بصفوة أوصاف الكائنات، فإن قيل: وقد كان من أفراد هذا النوع مشوَّه الصورة، سمج الخلقة؟ نقول: لا سماجة ثمة، لكن الحسن كغيره من المعاني، على مراتب، فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها، أمرٌ نسبي، لا يخرجه عن الجمال، فهو داخل في حيِّز الحسن، وإذا ما قارنَّا صورة أي إنسان بصورة القرد والحمار، كان بلا شك أجمل جميع المخلوقات. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ في النشأة الأخرى.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي هو محيط بجميع المضمرات في صدور الناس.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ألم يأتكم أيها الكفار نبأ الذين كفروا ﴿مِن قَبْلُ﴾ كقوم نوح، وهود، ولوط ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي جزاء أعمالهم الخبيثة، وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، لا يُقادر قدرُه.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما ذُكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا، وما سيذوقونه في الآخرة ﴿ بِأَنَّهُۥ ﴾ بسبب أنه ﴿ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسول بشراً، أي قال كل قوم في حقِّ رسولهم: أبعث الله بشراً؟ كما قالت ثمود: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ وقد أجمل فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس، أنكروا أن يكون الرسولِ بشراً، ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً؟ ﴿ فَكَفَرُواْ ﴾ بالرسل ﴿ وَتَوَلَّواْ ﴾ عن الإيمان، وعن التدبر في البيِّنات ﴿ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ ﴾ أي أظهر الله استغناءه عن إيمانهم، حيث أهلكهم ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ عن العالمين ﴿ حَمِيدٌ ﴾ أي مستحق للحمد، وإن لم يحمده حامد.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ المراد بالموصول كفار مكة ﴿ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ ﴾ أي أنهم لم يبعثوا ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ أكد الإخبار باليمين، لأن التهديد به أعظم في القلب، فكأنه قيل لهم: ما تنكرونه كائن لا محالة، أُقْسِمُ لكم بربي ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ ﴾ أي لتحاسبنَّ ولتجزونَّ بأعمالكم من خير أو شر ﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ البعث والجزاء ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لتحقق القدرة.

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي إذا كان الأمر كذلك، فآمنوا لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة ﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾ يعني القرآن الكريم، فإنه

بإعجازه بيِّنٌ بنفسه، مبيِّنٌ لغيره، كما أن النور كذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الامتثال بالأمر، أو عدمه ﴿خَبِيرٌ﴾ أي مجازٍ لكم عليه.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ أي ليومٍ عظيم، يجمع فيه الأولون والآخرون، من الإنس والجن، والسابقين واللاحقين، لأجل ما فيه من الحساب والجزاء ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ أي يوم غَبْنِ الناس بعضهم بعضاً، والغبنُ هو فوت الحظ من السعادة، وضياع ما كان يؤمله الإنسان، وتخصيص التغابن بذلك اليوم، للإيذان بأن الخسارة الحقيقية إنما تكون في الآخرة، فيظهر حينئذٍ غبن كل كافر، اشترى الضلالة بالهدى، وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ أي عملاً صالحاً إلى أن يموت على ذلك ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز وراءه، لانطوائه على النجاة من أعظم المهلكات، والظفر بأجلِّ الطلبات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على البعث ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي بئس المرجع والمسكن نار جهنم، والآيتان بيانٌ لكيفية التغابن، وتفصيلٌ له.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي بعلمه وتقديره ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ ويرى المصيبة من الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ للثبات، والرضا، والصبر ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيعلم إيمان المؤمن، ويهدي قلبه إلى ما ذُكر.

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾.

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ كرر الأمر للتأكيد ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي عن إجابة الرسول ﷺ فيما دعاكم إليه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي وقد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وهو تعليل للجواب المحذوف، أي فلا بأس عليه، لأن مهمته التبليغ، وقد أدَّاها امتثالاً لأمر ربه.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ أي هو المستحق للعبادة، لا غيره ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ خاصة دون غيره ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي فليعتمد المؤمنون عليه في جميع أمورهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم، وقالوا: لمن تتركوننا؟ فلمَّا أتوا رسول الله ﷺ، رأوا الناس قد فَقُهُوا في الدين، فهمُّوا أن يعاقبوهم،

فأنزل الله هذه الآية»[1] ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ أي أن تطيعوهم وتتركوا الهجرة ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة، القابلة للعفو، بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا، ﴿وَتَصۡفَحُواْ﴾ أي تعرضوا عن التوبيخ ﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾ وتستروا ذنوبهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي يعاملكم بمثل ما عملتم من الصفح والمغفرة.

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ أي بلاء ومحنة، لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة، وقد يقع الإنسان بسببهم في العظائم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لمن آثر محبة الله، على محبة الأولاد والأموال، عن بريدة قال: كان ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ عن المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله: «﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ نظرتُ إلى هذين الصبيين، يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[2].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم، وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ أي مواعظه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أوامره ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ مما رزقكم ربكم، في الوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها، خالصاً لوجهه الكريم ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ أي افعلوا ما هو خير لها وأنفع، وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر، وبيان لكون

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣٣١٧ وقال: حديث حسنٌ صحيح.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٧٧٤ وقال: حديث حسن غريب.

الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بكل مطلوب ومحبوب.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بصرف المال فيما أمر به، مقروناً بالإخلاص، وطيب القلب، وذكَرَ القرضَ تلطفاً في الاستدعاء ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ بالواحد عشرة، إلى سبعمئه وأكثر، إلى ما شاء الله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ﴾ ببركة الإنفاق ما فرط منكم ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل ﴿حَلِيمٌ﴾ أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي يعلم ما استتر ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما انتشر وظهر، يعني لا تخفى عليه خافية ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ المبالغ في القدرة والحكمة، والله أعلم.

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة التغابن»

* * *

obeikandl.com

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ تخصيص النداء به ﷺ مع عموم الخطاب لأمته، لتشريفه، وإظهار جلالة منصبه، أو المعنى: يا أيها النبي قل لهم، فأضمر القول، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ أي مستقبلات لها، فإن المرأة إذا طلقت في طُهر، يعقبه القُرْءُ الأول من أقرائها، فقد طُلِّقت مستقبلةً لعدتها، والمراد أن يطلقن في طُهر، لم يقع فيه جماع، ثم يُخلَّيْن حتى تنقضي عدتهنَّ، وهذا أحسن الطلاق، عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فتغيَّظ منه ﷺ، ثم قال: «مُرْهُ فلْيراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم

تطهر، فإن بدا له أن يطلّقها، فليطلقها قبل أن يمسَّها»[1] ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي اضبطوها، وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل، وخوطب الأزواج لغفلة النساء، وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة، ومراعاة أمر النفقة والسكنى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدة عليهن والإضرار بهن، وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم، تأكيد الأمر، ومبالغة في إيجاب الاتقاء ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي من مساكِنهنَّ عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن، وإضافتها إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهي، ببيان كمال استحقاقهن لسكناها، كأنها أملاكهنَّ، وفيه دليل على أن السكنى واجبة لهنَّ، وحكمتها لئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث، وللاحتياط مخافة أن تنكر المرأة المراجعة، فتنكح زوجاً غيره ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بأنفسهن إنْ أردن ذلك، فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: هي الزنا، فيخرجن لإقامة الحدِّ عليهن، وقيل: إلا أن يفحشن على الأزواج، فيحل حينئذ إخراجهنَّ لسوء خلقهن، فإخراجهن وخروجهن في عدتهن معصية ﴿وَتِلْكَ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي عيَّنها لعباده ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ بأن أخلَّ بشيء منها، على أن الإظهار في موضع الإضمار لتهويل أمر التعدي، والإشعار بعلة الحكم في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي أضرَّ بها ﴿لَا تَدْرِى﴾ أيها المخاطب ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ بأن يُقلِّب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، فالظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقها، بسبب تعديه، أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والأخروي، وقوله: ﴿لا تدري﴾ خطاب للمتعدّي بطريق الالتفات، لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي، لا للنبي ﷺ كما توهم. عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أبغضُ الحلالِ

إلى الله الطلاقُ»[1] وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة سألتْ زوجهَا الطَّلاقَ من غير ما بأسٍ، فحرام عليها رائحة الجنة»[2].

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي شارفن آخر عدتهن ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ فراجعوهن ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ بحسن معاشرة وإنفاق وحستن سيرة ﴿ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ بإيفاء الحقِّ، واتقاء الضرار، مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لعدتها، أي فأنتم بالخيار، إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف، وإن شئتم المفارقة واتقاء الضرار ﴿ وَأَشْهِدُوا ﴾ عند الرجعة والفرقة جميعاً، قطعاً للتنازع، وهذا أمر ندب كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وروي عن الشافعي أنه للوجوب في الرجعة ﴿ ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ ﴾ من المسلمين ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ أيها الشهود خالصاً لوجهه سبحانه، لا لغرض من الأغراض، سوى إقامة الحق، ودفع الضرر ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ إشارة إلى الحق على الإشهاد ﴿ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إذ هو المنتفع به، والمقصود تذكيره ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ فطلَّق للسُّنَّة، ولم يضار المعتدَّة، ولم يخرجها من مسكنها، واتقى ربه في الأمور التي أمر بها الشرع ﴿ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ مما عسى يقع فيه من الغموم، والوقوع في المضايق، ويفرِّج عنه ما يعتريه من الكروب.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٢١٧٨ في الطلاق، مرسلاً، وموصولاً.
(٢) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٢٢٢٦ والترمذي رقم ١١٨٧ في الطلاق.

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي من وجهٍ لا يخطر بباله، ويجوز أن يكون المعنى على العموم، أي ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر، يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غموم الدنيا والآخرة، رُوي أنها نزلت في «عوف بن مالك» أسر الأعداء ابناً له، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أسر العدوُّ ابني، وشكا إليه الفاقة، فقال له ﷺ: «اتَّقِ اللهِ واصبِرْ، وأكثرْ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل فبينا هو في بيته، إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من الإبل غنمها من المشركين»[1] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ يكل أمره إليه ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي كافيه في جميع أموره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ أي يبلغ ما يريده، لا يفوته مراد، ولا يعجز من مطلوب ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ تقديراً وتوقيتاً، وهذا بيانٌ لوجوب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، لأن الإنسان إذا علم أن كل شيء، من الرزق ونحوه، لا يكون إلاَّ بتقديره، لم يبق أمَامَه إلا التسليم إليه تعالى.

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ لكبرهنَّ وانقطاع دم الحيض عنهن، وقدَّروه بخمس وخمسين سنة، قيل: لمَّا نزلت: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سألوا رسول الله ﷺ عن عدّة اللائي لم يحضن، فنزلت

(١) ذكر هذه القصة ابن جرير الطبري، ورواها الحافظ ابن كثير في تفسيره من رواية السدي ٤/٤٠٦.

﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن، وقيل: إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس أهو دم حيض أم استحاضة ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ أي فهذا حكمهن ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ لصغرهن فعدتهن أيضاً كذلك، فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ أي منتهى عدتهن ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ سواء كن مطلقات، أو متوفى عنها أزواجهن، عن سُبيعة الأسلمية أنها ولدت بعد وفاة زوجها بلياليٍ قالت سبيعة: «فأتيت رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتزوج إنْ بَدَا لي»[1] وعند علي وابن عباس عدَّتُها أبعد الأجلين ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في شأن أحكامها ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة، ويوفقه للخير.

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذُكر من الأحكام ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ أي أنزله إليكم لتعملوا به ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ بالمضاعفة.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ۝٦﴾.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ﴾ مسكناً ﴿مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ أي بعض مكان سكناكم ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ أي ممَّا تطيقونه، والوُجْدُ؛ الوُسْعُ والطاقة ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ أي في

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٨/ ٦٥٣.

السكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ وتلجئوهن إلى الخروج، ببعض الأسباب، من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن ﴿وَإِن كُنَّ﴾ أي المطلقات ﴿أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدة، وأما المتوفى عنهن أزواجهن، فلا نفقة لهن ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يعني هؤلاء المطلقات بعد انقطاع الزوجية ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع، وهو دليل على أن اللبن وإن خُلق لمكان الولد، فهو ملك لها، والأم يجوز لها أن تأخذ الأجر، وفيه دليل أن حق الرضاع على الأزواج في حق الأولاد ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي ليأمر بعضكم بعضاً بجميل، في الإرضاع، والأجر، ولا يكن من الأب مماكسة، ولا من الأم معاسرة، لأنه ولدهما ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع الأجنبية، ولم يزد الأب على ذلك ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أي فستوجد له امرأة أخرى، وفيه معاتبة للأم على المعاسرة، أي سيجد الأب امرأةً ترضع له ولده، إن عاسرته أمه.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه على المطلقات والمرضعات ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ أعطاها من الرزق، جلَّ أو قلَّ، فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وفيه تطييب لقلب المعسر، وترغيبٌ له في بذل مجهوده، وقد أكد ذلك بالوعد حيث قال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي كثير من أهل قرية ﴿عَتَتْ﴾ أي عصت وأعرضت

﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ واستمرت على العتوّ والعناد ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ باستقصاء الذنوب، وشدة العقاب ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي منكراً عظيماً، والمراد به عذاب الآخرة.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي خساراً وهلاكاً، لا خسران مثله.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ تكرار للوعيد، وبيان لكونه مترقباً يخوّف الله كفار مكة، أن ينزل بهم ما نزل بالأمم الخالية ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يا ذوي العقول السليمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ عطف بيان ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أن أنزل إليكم القرآن الكريم.

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

﴿رَّسُولًا﴾ أي وأرسل إليكم رسولاً هو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا۟﴾ إي الرسول ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ أي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ اللام متعلقة بـ ﴿يتلو﴾، أي ليخرج الله الذين عَلِمَ منهم أنهم يؤمنون ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ من ظلمات الضلالة إلى الهدى، ويمكن أن يكون المعنى: ليخرجهم من الظلمات التي تحدث لهم بعد الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي يصدّق بوجود الله

ووحدانيته، ويعمل عملاً صالحاً ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي ماكثين في دار النعيم أبداً ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ فيه معنى التعجيب والتعظيم، أي ما أكرمه، وأعظمه من رزق!!.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي مثلهن في العدد أو في الإبداع والإتقان واختلف في كيفية طبقات الأرض، قال الجمهور: إنها سبع أرضين طباقاً، بعضها فوق بعض، وقال الضحاك: مطبقة من غير فتوق، بخلاف السماوات، ولا يوجد في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع، إلا هذه الآية ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وحكمه بينهن، فينزل المطر، ويخرج النبات، ويخلق الخلق على اختلاف هيئاته ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذُكر، قادر على كل شيء ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ لاستحالة صدور ذلك عن غير الخالق المبدع، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الطلاق»

* * *

سُورَةُ التَّحْرِيم

مدنية وآيُها اثنتا عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ اختلفوا في الذي حرَّم النبي ﷺ على نفسه، قيل: حرَّم «مارية» وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة، والشعبي، ومسروق، وقيل: حرَّم العسل!! لما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب فيشرب عندها عسلاً، فتواطأتُ أنا وحفصة، أن أيَّتنا دخل عليها النبي ﷺ، فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له، فقال: بل شربتُ عسلاً عند زينب، ولن أعود له، فنزلت ﴿يا أيها النبي لمَ تحرِّم﴾ إلى قوله تعالى ﴿إنْ تَتُوبا إلى الله﴾[1] قولها فتواطأت أي اتفقت، مغافير وهو صمغ حلو، وله رائحة كريهة، قال النسائي: هذا الحديث صحيح جيِّدٌ غاية الجودة، وقال الأصيلي: هذا أصح وأولى بظاهر كتاب الله

(١) الحديث أخرجه البخاري ٨/٦٥٦ في كتاب التفسير، ومسلم رقم ١٤٧٤ في الطلاق.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ تفسير لتحرم، وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بذلك، مع اعتقاده أن ذلك حلال، أي تطلب رضاء أزواجك بترك ما أحلَّ الله لك؟ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ قد غفر لك هذه الزلّة ﴿رَحِيمٌ﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك بها، قال بعض العلماء: الصحيح في نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة «مارية» المروية في غير الصحيحين، من أنه ﷺ أسرَّ إلى حفصة تحريمها على نفسه فأفشت السرَّ.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ قد قدَّر الله لكم ما تحلّلون به أيمانكم، وشرع لكم تحليلها بالكفارة، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ وهي حفصة رضي الله عنها ﴿حَدِيثًا﴾ أي حديث تحريم العسل، أو مارية القبطية وأمر الخلافة ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث، وأفشته إليها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلع الله النبي ﷺ على إفشاء حفصة للسرِّ على لسان جبريل عليه السلام ﴿عَرَّفَ﴾ أي النبي ﷺ حفصة ﴿بَعْضَهُ﴾ بعض الحديث الذي أفشته، قيل هو حديث الإمامة ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ عن تعريف بعض، قيل هو حديث مارية، والمعنى: أن النبي ﷺ أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأَمَة، وأعرض عن ذكر الخلافة، لأنه ﷺ كره أن ينشر في الناس ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ أي نبأ النبي ﷺ حفصة بما أفشت من السر إلى

﴿قَالَتْ﴾ حفصة للنبي ﷺ ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أي أخبرني بذلك الله عزَّ وجلَّ، العليم بالسرائر، الخبير بالضمائر.

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما، على الالتفات للمبالغة في العتاب، وقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين اللتين قال الله تعالى فيهما ﴿إِن تَتُوبَآ إِلى ٱللهِ﴾ حتى حجَّ عمر، وحججتُ معه، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان قال الله تعالى: ﴿إن تتوبا﴾ قال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس ـ قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ـ قال: هما عائشة وحفصة، قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم..» الحديث[1] ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي مالت ووُجد منكما ما يوجب التوبة، من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من تكريم رسول الله ﷺ، وحبِّ ما يحبُّه، وكراهة ما يكرهه ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ بإسقاط إحدى التائين، أي تتعاونا عليه بما يسوءه، من الإفراط في الغيرة، وإفشاء سره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ﴾ وإنما أفرد جبريل تعظيماً له ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أتباعه وأعوانه، وعن ابن مسعود وأبي بن كعب أراد بصالح المؤمنين أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما، وبه قال عكرمة ومقاتل، وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة، فإنه جمع بين الظهير المعنوي، والظهير الصوري، كيف لا وإن جبريل ظهيرٌ له يؤيده بالتأييدات الإلهية،

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/٦٥٨ ومسلم رقم ١٤٧٩ في الطلاق، وانظر تمام الحديث في جامع الأصول لابن الأثير الجزري ٢/٤٠٠.

وهما وزيراه وظهيراه في تدبير أمور الرسالة، وتمشية أحكامها الظاهرة، ولأن بيان مظاهرتهما له أشد تأثيراً في قلوب بنتيهما، بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين من المؤمنين ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مع تكاثر عددهم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد نصرة الله وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾ أي فوج معينٌ له، كأنهم يد واحدة على من يعاديه، فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه؟.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ أي يعطيه ﷺ بدلكن ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ على التغليب، أو تعميم الخطاب ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ خاضعات لله تعالى منقادات له ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مصدِّقات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مصليات بالليل، ومواظبات على الطاعة، ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول ﷺ ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات، سُمي الصائمُ سائحاً، لأنه يسيح في النهار بلا زاد ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وفيه إشارة إلى أن تزوج النبي ليس على حسب الشهوة، بل على حسب ابتغاء مرضاة الله تعالى[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بالانتهاء عما نهاكم الله عنه، والعمل بطاعته ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي حطبها

---

(١) إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وأبكاراً﴾ دون سائر الصفات، لامتناع اجتماعهما في ذات واحدة، فإن المرأة لا تكون بكراً وثيباً في آن واحد، بخلاف بقية الصفات ولهذا عطفت هنا بالواو ﴿وأبكاراً﴾ فتدبر أسرار القرآن!!.

الحجارة والناس ﴿عَلَيْهَا﴾ يلي أمرها وتعذيب أهلها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ وهم الزبانية ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ غلاظ الأقوال، شداد الأفعال، أقوياء على البطش ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أي لا يخالفون أمر الله جلَّ وعلا ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي ويؤدون ما يؤمرون به، ولا يتثاقلون عنه.

أمر تعالى المؤمنين، باتقاء هذه النار المعدّة للكافرين، كما نصَّ في سورة البقرة، للمبالغة في التحذير

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ أي يقال لهم ذلك، عند إدخال الملائكة إياهم النار، والنهي عند الاعتذار، لبيان أن العذر لا ينفعهم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاء أعمالكم القبيحة في الدنيا، من الكفر والمعاصي.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ أي بالغة في النصح، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا بها على طريقتها، وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمِّين لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون، ويردُّوا المظالم، ويستحلوا الخصوم، ويداوموا على طاعة الله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ورود صيغة الإطماع ﴿عسى﴾ للجري على سنن الكبرياء، والإشعار بأنه تفضل منه سبحانه، والتوبة غير موجبة له، وأن العبد ينبغي

أن يكون بين خوفٍ ورجاء، وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ ظرف ليدخلكم، أي يوم لا يذلهم ولا يهينهم، بل يكرمهم ويرفع مقامهم، عمن أخزاهم الله من الكفار، والفساق، واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي على الصراط ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ إذا طفىء نور المنافقين ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ يدعون به تقرباً إلى الله تعالى، مع تمام نورهم، وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم، فيسألون إتمامه تفضلاً ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي استر ذنوبنا وامحها عنا، فإنك القادر على كل شيء، وأنت يا رب أهل الفضل والغفران.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجة، والوعظ البليغ ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي استعمل الخشونة معهم فيما تجاهدهم به من الكلام ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي مسكنهم جهنم، وبئس المرجع والمصير نار جهنم، أن تكون مسكنهم ومأواهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ضربُ المثل في أمثال هذه المواقع، عبارة عن إيراد حالة غريبة، ليعرف بها حالة أخرى، مشاكلة لها في الغرابة، مثَّل الله عزَّ وجلَّ حال الكفار، في أنهم يعاقبون على كفرهم، ولا ينفعهم ما كان بينهم وبين المؤمنين، من النسب والمصاهرة، وإن كان نبياً، بمثل امرأتي نوح ولوط ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ أي كانتا في عصمتَيْ نبيين، متمكنين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنفاق ولم تؤمنا بالله، قال ابن عباس: « ما بغت امرأة نبيٍّ قطُّ، وخيانتهما في الدين، أنهما أسرَّتا النفاق، وأظهرتا الإيمان». ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي فلم يغن أزواجُهما النبيَّان ﴿عَنْهُمَا﴾ بحقِّ الزواج ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْـًٔا﴾ أي شيئاً من الإغناء ﴿وَقِيلَ﴾ أي ويُقال لهما يوم القيامة: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ أي ادخلا نار جهنم مع سائر الكفرة المجرمين، فقطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية، ويتكل على صلاح غيره[1].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين، في أن صلة الكفر لا تضر المؤمن، إذا كان صادق الإيمان، وذلك في مثل حالة امرأة فرعون، التي كانت تحت أعدى أعداء الله تعالى، وهي في أعلى غرف الجنة ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها لما ظهر موسى عليه السلام، وغلب السحرة، آمنت به، فلما تبين لفرعون إسلامها، أوتد يديها ورجليها بالأوتاد، وألقاها في الشمس ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ وهي تعذب ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا﴾ أي ابن لي قصراً في الجنة، أسكنه بعد مفارقتي الدنيا، وأرادت به الدرجة العالية في جنان الخلد ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ روي أنها لما قالت ذلك، أُريت بيتها في الجنة، وانتزع روحها ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ أي من نفسه الخبيثة، وعمله السيِّىء ﴿وَنَجِّنِى

(١) وفي ذلك مبالغة في المعنى المقصود، وهو أن الإنسان لا ينفعه عادة صلاح غيره، وإن كان ذلك الغير في أعلى مراتب الإيمان والصلاح.

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من القبط التابعين له في الظلم والطغيان، وفيه دليل أن الالتجاء إلى الله تعالى عند المِحَن، من سِيَر الصالحين.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطف على امرأة فرعون أي وضرب الله مثلاً للذين آمنوا، مريم بنت عمران، وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة، مع كون قومها كفاراً ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي عفت عن اقتراف الفاحشة مع الرجال ﴿فَنَفَخْنَا﴾ أي فنفخ جبريل بأمرنا ﴿فِيهِ﴾ في الفرج ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ الإضافة إضافة تمليك وتشريف، كبيت الله، وناقة الله، أي من روح خلقناه بلا توسط، فحملت بعيسى عليه السلام ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بالصحف المنزلة على إدريس وغيره ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ يعني الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي المطيعين لله عز وجل، وهم رهطها وعشيرتها، لأنهم كانوا أهل بيت صلاح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبُك من نساء العالمين: مريمُ ابنة عمران، وخديجة بنت خُويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»[1] والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة التحريم»

* * *

(١) أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٨٧٨ وقال: حديث حسن صحيح.